مشروع نظرية العلم عند ياسين خليل

الدكتور حازم سليمان الناصر
أستاذ مساعد
جامعة بغداد / كلية الآداب

حياته واهم مؤلفاته

ياسين خليل من مواليد ١٩٣٤ بغداد، دخل قسم الفلسفة في كلية الآداب ظ جامعة بغداد ١٩٥٣ وتخرج بدرجة الامتياز عام ١٩٥٧، وقبل بعدها مباشرة في جامعة (مونستر) في ألمانيا، حيث حصل على شهادة الدكتوراه بامتياز عام ١٩٦١، توفي الدكتور ياسين خليل في شهر أيار من عام ١٩٨٦ رحمه الله كان أستاذا متفلسفا مفكرا، باحثا، مؤلفا في (فلسفة العلم). إلى جوار إنشاءاته المعرفية الأخرى في التراث العلمي العربي ومساهماته النقدية والفكرية في القومية والأيديولوجيا العربية حتى اصبح نتاجه العلمي موضع تقدير المؤسسات الأكاديمية في الوطن العربي وبلدان العالم، ووثقت اسمه وجيده الكثير من الكتب والتراجم والموسوعات الأجنبية، وحظي بشهادات تقديرية من مراكز البحث الأكاديمية الغربية والأمريكية واعتبر واحدا من العلماء المجددين في الفكر والثقافة بعد ان قدم اعتماداته الفلسفية في مجال فلسفة العلم والفلسفة وعلاقة العلم بالفلسفة (١) فضلا عن علاقة المنطق بالمعرفة العلمية.

إضافة إلى كل ما تقدم وبفضل جهوده الحثيثة في البحث اصبح باحثا أصيلا اتجه بعلمه وخبرته نحو دراسة التراث العلمي العربي، فأظهر إبداعات الفلاسفة العرب في النواحي العلمية والرياضية والطبية والمنطقية فدلل على إسهاماتهم في إغناء الحضارة الإنسانية ورفدها بمختلف المعارف والعلوم. وهذا ما نجده في المؤلفات والبحوث الأصيلة ومنها:-

١- مبادئ لتحليل اللغة تركيبا باللغة الألمانية ١٩٦١
٢- منطق اللغة (بحث)
٣- نظرية التعريف والدراسة العلمية ١٩٦٣ (بحث)

٤- الشباب والاتجاهات الفكرية ١٩٦٣ (كتاب)

٥- المنطق والرياضيات ١٩٦٣ (بحث)

٦- الإسلام وجود المنطق ١٩٦٤ (بحث)

٧- القومية والاشتراكية ١٩٦٤ (كتاب)

٨- نظرية ارسطو المنطقية ١٩٦٤ (كتاب)

٩- المفاهيم القومية والاشتراكية ١٩٦٥ (كتاب)

١٠- المثالية الرياضية ١٩٦٦ (بحث)

١١- الأيديولوجية العربية ١٩٦٦ (كتاب)

١٢- ارنست ماخ والفلسفة الوضعية ١٩٦٧ (بحث)

١٣- الذرية المنطقية ١٩٦٧ (بحث)

١٤- مقدمة في الفلسفة المعاصرة ١٩٧٠ (كتاب)

١٥- منطق المعرفة العلمية ١٩٧١ (كتاب)

١٦- منطق البحث العلمي ١٩٧٤ ،كتاب)

١٧- المعرفة الإنسانية ١٩٧٥ (بحث)

١٨- الطب والصيدلة عند العرب ١٩٧٩ (كتاب)

١٩- العلوم على مذهب العرب ١٩٨٠ (بحث)

هذا فضلا عن بحوث أخرى ومقالات كتبها في الصحف والمجلات من أهمها كيف نفهم التاريخ – أيلول تشرين الأول ١٩٨٢ والمؤامرة الكبرى – نيسان مايس ١٩٨١. لكننا نعتقد انه على الرغم من ابتكاراته المنطقية في التحليل والبرهان الا ان إبداعه يتمثل في المشروع الذي قدمه واسماه بـ (نظيرية العلم) والتي تعد واحدة من ابرز مشاريعه العلمية التي حضيت بالتقويم الأكاديمي في الوطن العربي وفي الدوائر الأكاديمية المختصة في العالم.

لقد حاول المرحوم الدكتور ياسين خليل بناء نظرية العلم في بداية السبعينيات عبر مؤلفه (منطق المعرفة العلمية (٢) الذي يمثل الجزء الأول من نظريته والتي خرجت إلى النور عام ١٩٧١ فيما تمثل الجزء الثاني من هذه النظرية في كتابه (منطق البحث العلمي (٣) والذي كتبه عام ١٩٧٤، ولعل هذين

الكتابين يتمحور فيهما اتجاهه الفلسفي في فلسفة (صورية-اصطلاحية وهي فلسفة تؤكد على الربط بين الاتجاه الصوري في المعرفة العلمية من جهة وبين الاتجاه الاصطلاحي في تحليل هذه المفاهيم والصيغ العلمية من جهة أخرى. ولكي يبسط ياسين خليل كيفية المدخل إلى نظرية العلم لجأ إلى وضع خطة علمية حصرها في ثلاث حقول معرفية، لعل في مقدمتها نظرية المعرفة العلمية والتي ضمنها الاهتمام في البناء المنطقي للمعرفة العلمية وما يتجسد فيها من الأفكار والمبادئ والعلاقة بالعالم الخارجي، العلاقة المنطقية ببعضها ثم مستويات المعرفة سواء كانت صورية أم تجريبية (٤).

أما الحقل الثاني يبرز لنا في منطق البحث العلمي والذي تناول فيه الشروط الأساسية للتجريبية والصورية وما يتعلق بالطرقة العلمية سواء كانت تجريبية وبرهانية ومهتما بمعايير البحث العلمي وبناء اللغات العلمية والنظريات العلمية وبناءها المنطقي في حقول الفيزياء والمنطق والرياضيات(٥).

أما الحقل الأخير فأطلق عليه المرحوم ياسين خليل بوحدة العلم ولم يظهر هذا الكتاب ليبين فيه المنهج الذي سار على منواله في كتابيه (منطق المعرفة العلمية ومنطق البحث العلمي) الا انه استفاد في هذا المجال من الوضعية المنطقية لانه يشكل أحد أهدافها الرئيسية لانه يجعل من وحدة العلم أحد الجوانب المهمة في نظرية العلم التي يريد بناءها لذا نجده ينظر إلى وحدة العلم من زاويتين (٦).

الأولى:- تحقيق وحدة العلوم التجريبية عبر تأسيس قاعدة تجريبية ومنطقية سليمة تبتعد عن كل الاحتمالات الميتافيزيقية التي تمنع الهدف من التحقق.

الثانية:- دراسة العناصر المشتركة بين العلوم (التجريبية والبرهانية)

ولعله في هذه النظرة يحاول صياغة القواعد التي تهدف إلى تحقيق وحدة العلم والتي يهدف من وراءها الابتعاد كليا عن الفرضيات الميتافيزيقية الفلسفية (٧)

من هذا المنطلق (اقصد الحقول الثلاثة) والذي يحدد فلسفة ياسين خليل طبقا للعلم التجريبي، والمنطق البرهاني فاننا نرى ان نظرية العلم لا بد ان تقدم تحليلا

واضحا للأفكار والقضايا في كل العلوم التجريبية والبرهانية مع التزامها بتقدم واضح لكل منها عبر شروط محددة مبتدأ فيها من نظرية العلم التي تتألف من (مادة بحث وطريقة وغاية) تسعى إليها فضلا عن تناولها العلوم المختلفة (التحليل قصد المعرفة) والعناصر الفكرية ومن ثم إعطاء أهمية للطرق المنطقية التي تستخدمها هذه النظرية في بناء المعرفة والنظريات الأخرى أي ان مادة نظرية العلم هي العلوم الطبيعية والبرهانية والاجتماعية والإنسانية (٨).

ولا ينسى ان أي علم من العلوم له جانبان، يمثل الأول موضوع البحث (المادة) والطرق المنطقية التي تستخدم في صياغة قوانين الموضوع. من هذا المنطلق يرى ان أولى مهام نظرية العلم هي تحليل جوانب المعرفة بموجبها لذلك نجده يتمسك باتجاه فلسفي واحد على الطريقة التحليلية-البنائية من جانب والطريقة البديهية من جانب آخر لذلك يبدأ بالأوليات والأفكار البسيطة ثم يرتقي نحو المعقدات وصياغة النظريات وبيان مستويات الأفكار وتوضيح الفروق الجوهرية بين العلوم البرهانية والعلوم التجريبية من خلال تحليل طبيعة الأفكار (٩).

لان نظرية العلم كما يقول عنها ياسين خليل (ليست علما يضاف إلى العلوم بل نظرية تحليلية للعلوم) (١٠) أما الطريقة البنائية فتمثل عنده الخطوة التكميلية للطريقة التحليلية التي لا تكفي بالتقسيم والتجزئة بل تحاول ان تظهر لنا موقع المفاهيم من الصيغ ودورها في البناء فضلا عن تحديد مستويات المعرفة والأفكار صعودا لاختلف المبادئ والمفاهيم (١١).

أما الطريقة البديهية ، فيقصد بها البناء الصوري المحض للعلوم التجريبية والبرهانية، بحيث يظهر على شكل حساب صوري يبدأ بالأوليات والمعرفيات وبعض البديهيات والصيغ ارتقاء إلى صياغة النظرية صوريا، وان هذا البناء تحكمه بعض الشروط المنطقية (١٢). ويتبين فيما تقدم تأثر المرحوم ياسين خليل بالفلاسفة جوتلوب فريجة وبراتراندسل ولودفج فيتشتاين وفي الجوانب التحليلية في المنطق والرياضيات والفيلسوف دافيد هلبرت في مجال الطرقة البديهية في البرت انشتاين وماكي بلانا في مجال تطور الفيزياء وبجماعة فينا في البناء المنطقي

للمفاهيم والتحليل المنطقي وكارل بوبر في مجال الاستدلال في الفيزياء وفحص النظريات العلمية (١٣).

ما هي الغاية من نظرية العلم:

ان الغاية التي تسعى إليها نظرية العلم من وراء تحليل المعرفة عند ياسين خليل هي (وحدة العلوم) باعتباره أحد الأهداف المهمة التي تسعى إليها الفلسفة ولا زالت تحاول تحقيق هذا الهدف عن طريق الدراسات المنطقية التجريبية (١٤) ويرى ياسين خليل من خلال النظرة إلى أصول النظرية العلمية نحصل على نتيجة هامة تمثل في قوله (ان نظرية العلم هي النظرية المنطقية العامة للعلوم بعبارة أخرى انها منطق العلوم وبمعنى واسع على أساس ان النظرية تتناول منطق البحث العلمي ووحدة العلوم (١٥). ومن هذا المنطلق نجد ان نظرية المعرفة عند ياسين خليل تختلف عنها عند فيخته لان نظريته للعلم ذات طابع فيتافيزيقي يبتعد كل البعد عن الجانب التحليلي للعلوم والحال ينطبق على بولتزا لانه يهتم بالطريقة البديهية والعلوم الرياضية فقط في حين نجدها (نظرية العلم) عند الدكتور ياسين خليل تضم إلى جانب العلوم البرهانية منطق العلوم التجريبية فضلا عن التطورات الحديثة التي رافقت النظريات الفيزياوية المعاصرة (١٦).

لذا نجد ان الغاية التي تسعى إليها نظرية العلم عند ياسين خليل تتمثل في وحدة تحقيق العلوم باعتبارها الهدف التي كانت الفلسفة وما تزال تحاول تحقيقه عن طريق الدراسات المنطقية والتجريبية (١٧). ويقول ياسين خليل من خلال نظرتنا لهذه الأصول في نظرية العلم نحصل على نتيجة هامة هي (ان نظرية العلم هي النظرية المنطقية ولعل تثبت مشروع نظرية العلم عند المرحوم ياسين خليل يتجسد في المذهب الفلسفي الاصطلاحي الصوري الذي اعتمده وبين خطوطه خلال عرضه لمشروع النظرية في منطق المعرفة العلمية وفي منطق البحث العلمي ونبين الخطوات التالية التي اعتمدها في شرح وبيان نظريته (١٨).

١. اعتبر المفاهيم وسائل يستخدمها الباحث في سبيل فهم ما يجري في العلم الخارجي فضلا عن اعتبارها مصطلحات يخلقها العقل الإنساني على الرغم

من اعتبارها مصطلحات متجه نحو العالم الخارجي للتعرف عليه وكشف زواياه...

٢. يرى ياسين خليل ان التطور الكبير الذي أصاب النظرية الكلاسيكية إلى الكون استنادا إلى ما حققته النظريات الفيزياوية في القرن العشرين من إنجازات فقد بدا التأكيد على ضرورة البحث لتطوير هذه الطريقة من خلال بيان أهميتها في العلم ودورها في البناء المنطقي للنظرية العلمية.

٣. لانه يؤكد على دور الاستدلال والطريقة البديهية في البناء النظري فهو يرفض الرأي الذي يقول ان القوانين الطبيعية موجودة في الطبيعة وانها حتمية بمعنى ان قدرتها على التحكم في سير الظواهر والحوادث فضلا عن ذلك فأنه يدعو إلى ضرورة التمييز بين القوانين التجريبية ذات صلة بموضوعات قابلة للملاحظة أما القوانين النظرية فلا يمكن لها افتراض ذلك.

٤. يتفق مع دوهيم ((بأنها ليست تعليلا وانها نظام من قضايا رياضية مستنتجة من عدد قليل من المبادئ التي هدفها الرئيسي عرض مجموعة من القوانين التجريبية بابسط واكمل واضبط ما يمكن بل انه يعبر عنه بتعبير آخر عندما يقول (ان الفيزياء النظرية تلتزم بالطريقة الاستدلالية الافتراضية من اجل عرض مجموعة من القوانين التجريبية وهنا لابد ان نؤكد على حقيقة مفادها ان الدكتور ياسين خليل يميز بين فلسفة العلم والفلسفة العلمية لانه يرى ان فلسفة العلم هي عبارة عن محاولات الفلاسفة لاستفادة من النتائج العلمية وإخضاعها داخل إطار فلسفي محدد بين صلات النتائج والاستنتاجات الفلسفية المترتبة عليها)) (١٩).

أما الفلسفة العلمية فيقصد بها ((محاولات الفلاسفة وبعض العلماء في بناء طرق جديدة للفلسفة تكون عوننا للعلم في أبحاثه ودراساته بحيث يمكن القول ان للفلسفة طريقة علمية في صياغة الحقائق التي توصل إليها) (٢٠). فضلا عن ذلك فأنه يميز بين الفلسفة الكلاسيكية وفلسفة العلم والفلسفة العلمية التي يضعها تحت حقول ومباحث خاصة وهي (المشكلات، التحليلات، التركيبات، المنطقيات). من هذا المنطلق نقول ان فلسفة ياسين فلسفة علمية حسب تحديده، فقد أكد للاستفادة من

نتائج العلوم ومن ثم التأثير فيها بإعطاء الصورة المعرفية الكاملة وتعزيز نتائج العلم من خلال استحداث منهج جديد يساعد في تقديمه بالاستفادة من المنطق وما يقدمه من مناج ومفاهيم وأدوات من خلال بناء نظرية للمعرفة مرتبطة بالمعلومات الحديثة تنسق فهم الإنسان وتساعده على فهم المشكلات الفلسفية وحلها (٢١).

ولهذا السبب يعطي دورا متميزا للمنطق بل يعده القاعدة الأساسية لكل علم ينشد الدقة والتقدم ولعل التحليل المنطقي يقدم خدمة جليلة لكل الباحثين والمهتمين في العلوم الطبيعية والرياضية والإنسانية لانه يساعدهم على تحليل الأفكار وتعريف الغامض منها من أجل تحديد المفاهيم والمبادئ الأساسية التي يرتكز عليها العلم (٢٢). وهذا ما يساعد ياسين خليل على ربط مشروعه (نظرية العلم) بين العلم والواقع عبر تأكيده على الطريقة المنطقية في البناء واعادة البناء واستنتاج القضايا وبعض الشروط المنطقية التي يجب توفرها في (نظرية العلم) (٢٣). وربما يفسر ذلك ما ذهب اليه ياسين خليل في تعريفه العلم عندما وصفه بأنه يمثل افضل الطرق للبحث عن الخصائص الجوهرية التي يجب توفرها في كل معرفة تسعى لتصبح علما (٢٤). فضلا عن ذلك فأنه يلجأ إلى التمييز بين ضربين من ضروب العلم، الأول يعده التعريف الخاص، ويقصد به ما يتناول الخصائص الجوهرية لعلم واحد دون غيره ، أما الثاني فهو التعريف العام الذي يخص العلوم من زاوية وحدتها في خصائص مشتركة دون الإشارة على موضوع محدد بذاته على شرط ان يحافظ على الأهداف العلمية التي يتوخاها كل علم ومعرفة ولا يتحقق هذا الا بالتحقق من المعرفة العلمية عن طريق النظرة التاريخية والمنطقية لها لانه بفضل التطور التاريخي تبرز لنا الخصائص الملازمة للعلم فضلا عن الغايات التي سعى لتحقيقها بينما تظهر لنا النظرة المنطقية الأفضلية العامة عبر توسع كل علم في مجاله والاستفادة من النتائج العلمية التي ترفده بها بقية العلوم الأخرى (٢٥).

يتبين لنا مما تقدم ان نظرية ياسين خليل حاولت ان تستند في خطواتها الرئيسية على احدث التطورات الرياضية والمنطقية بل وحتى الفيزياء النظرية فاهتمت بدراسة البنية في هذه العلوم ومحاولة فهم التكوين الصوري لها وهذا ما يتضح لنا بجلاء في الطريقة البديهية التي تبذل جهدها في عرض العلوم وعلى شكل حساب

صوري وهذه حقيقة نجدها في محاولات العلماء ولاسيما المنطق والرياضيات الفيزياء النظرية القديم ما برحوا استخدام هذا الحساب في عرض نظرياتهم كذلك يبين ياسين خليل ان التطور الهائل والسريع في أساليب المنطق والفيزياء النظرية يبين لنا قصور الطريقة الاستقرائية القديمة من اجل هذا لا بد من ضرورة العمل على إدخال الطريقة الاستدلالية في مجال البحث والدراسة وبالتالي تطوير منطق استدلالي يخدم ابحث العلمي ويستعين في هذا الاتجاه في البحث العلمي حتى أصبحت الاستدلالية بعينها المنطقي والتجريبي من أتيم العناصر التي يستند عليها البحث العلمي هذا مما دفع ببقية العلوم الأخرى ولا سيما غير المضبوطة فيها إلى الاستعانة بهذه الطرق والحصول على الاشتقاقات منيا وهذا الحال نجده في بناء النظريات الفيزياوية وفي علم اللغة الذي استعان بأساليب المنطق الصوري عند بناء النظرية فحققت بذلك اللغة استدلالية منطقية تمتاز بفاعلية واضحة (٢٦).

الهوامش والمراجع

١. انظر الراوي، د. عبد الستار: خارطة الفكر الفلسفي العراقي المعاصر- تأملات أولى سلسلة المائدة الحرة الفكر الفلسفي المعاصرة، بيت الحكمة، ١٩٩٩ ص٣٤، ٣٥.

٢. خليل، د. ياسين / منطق المعرفة العلمية، منشورات الجامعة الليبية، ١٩٧١.

٣. خليل، د. ياسين / منطق البحث العلمي، منشورات بغداد ١٩٧٤ العلاف، مشهد سعدي / الدكتور ياسين خليل-سيرته فلسفته واعماله العلمية، بغداد، ١٩٨٨، ص ٧٨.

٤. انظر خليل، د. ياسين : منطق المعرفة العلمية، ص٨-المصدر السابق ص٣٦.

٥. انظر خليل، د. ياسين : منطق البحث العلمي ص٥ وفيما بعد.

٦. انظر خليل، د. ياسين : المصدر نفسه.

٧. خليل، د. ياسين / منطق المعرفة العلمية ص٣٣.

٨. انظر خليل، د. ياسين، المصدر نفسه، ص٣٤ كذلك انظر سماري جواد كاظم-الوضعية المنطقية في الفكر العربي المعاصر، رسالة ماجستير غير منشورة بغداد / ١٩٩٠ ص١١٥.

٩. انظر الراوي، عبد الستار : تأملات أولى، ص٣٧ / العلاف - سعدي ص٧٤ (ياسين خليل ص٣٧).

١٠. خليل، د. ياسين : منطق المعرفة العلمية، ص٣٧، ٣٨.

١١. خليل، د. ياسين الراوي، د. عبد الستار ، المصدر نفسه ص٣٨، وانظر مشهد المصدر السابق، ص٧٨ (ياسين خليل منطق المعرفة العلمية ص٣٧).

١٢. خليل، د. ياسين : منطق المعرفة العلمية، ص ٣٤، ٣٧، ٣٨، مشهد سعدي (ص٢٧-٦٧).

١٣. ياسين خليل / منطق المعرفة العلمية ص٣٨.

١٤. المصدر نفسه، ص ٣٨.

١٥. انظر سعدي، مشيد: المصدر السابق ص٧٦.

١٦. المصدر نفسه، ص٣٤ وانظر سعدي المصدر نفسه ص٧٦.

١٧. انظر خليل، د. ياسين : منطق المعرفة، ص٣٨.

١٨. انظر خليل ياسين (منطق البحث العلمي، ص٥-٦).

١٩. خليل، د. ياسين: مقدمة في فلسفة المعاصرة، منشورات الجامعة الليبية، ط١، ١٩٧١، ص٢٤.

٢٠. المصدر نفسه ، ص٢٤.

٢١. سعدي، مشهد:المصدر السابق. ص٨٢.

٢٢. خليل، د. ياسين: المنطق والرياضيات، بحث مجلة المجمع العراقي، مطبعة المجمع العلمي، المجلد ١١، بغداد، ١٩٦٤، ص٣.

٢٣. خليل، د. ياسين ، منطق البحث العلمي، ص٢٣٧.

٢٤. المصدر نفسه، ص٣٣٦.

٢٥. الراوي، عبد الستار: المصدر السابق، ص٤٠-٤١.